

والاجتماعية ونظم عناصرها ومكوناتها أمام العناصر الطارئة، والتحولات التاريخية. وقد يكون أخيراً سؤالاً للبحث عن الهوية المفقدة والكيان المهدد.

هذه الحالات الثلاث تعبير عن ثلاث لحظات عامة عاشها العربي في علاقته مع تراثه. ويمكن تجسيد هذه اللحظات الثلاث من خلال النقاط التالية:

1. اللحظة الأولى: يقدمها لنا التاريخ العربي مع ظهور الإسلام الذي جاء لتغيير رؤية العربي إلى ذاته وإلى واقعه وتراثه، وارتبط هذا التغيير بتقديم وعي جديد ومعرفة جديدة. إن أول ما ووجه به الإسلام هو أنه جاء بـ«دين جديد» ليس هو الذي وجد العرب عليه آباءهم. ويزخر القرآن الكريم باعتباره نصاً جديداً بآيات عديدة يبرز فيها الوعي واضحاً بالتراث القديم، وبالموقف منه. والإسلام لم يكتف باتخاذ الموقف من التراث «الجاهلي»، ولكنه قدم قواعد جديدة لتنظيم الحياة المدنية والاجتماعية للمسلمين باعتبارهم الإنسان العربي الجديد الذي جاء لخلقه وبلورته.

2. اللحظة الثانية: نجدها، أساساً، في القرن الثالث للهجرة مع اتساع رقعة المجتمع العربي الإسلامي واحتكاك العرب بغيرهم من الأمم التي كان لكل منها تراثها الذي ظلت تحمله معها رغم دخولها في المجتمع الإسلامي. ستعرف هذه اللحظة استدعاء للتراث القديم بهدف تثبيت أهلية وشرعية السلطة. ذلك لأن الإسلام هو دين الجميع (عرب - عجم). لكن هذا الجميع يختلف باختلاف موروته الثقافي والحضاري. وتبعاً لقيمة هذا الموروث تكتسب «أهلية» أو «شرعية» امتلاك السلطة. من هنا يبرز «الصراع» في المجتمع الإسلامي بين العنصرين العربي والفارسي في القرن الثالث الهجري. والرجوع إلى التراث في هذه الحقبة كان بهدف فرض هوية ثقافية محددة، أو إقامة توازن ثقافي يضمن التعايش والاختلاف في نطاق الهوية المشتركة. نجد ذلك في ازدهار التدوين والترجمة والتاريخ وتأسيس مختلف العلوم.

3. اللحظة الثالثة: رغم أن هناك لحظات أخرى، استدعت التفات العربي إلى تراثه وبالأخص خلال الحروب الصليبية، نجد اللحظة الثالثة ماثلة في ما يعرف بـ«عصر النهضة»، الذي تعمق فيه «الإحساس بالتأخر» حيال التقدم الذي يجسده الغرب المسيطر والمحتل. وفي هذا الالتفات نجد البحث عن مقومات الذات